الأسس الفلسفية للخطاب التربوي

عند الطريقة المحمدية الشاذلية

(دراسة تحليلية)

إعداد

أ. د/ زينب حسن حسن

أستاذ أصول التربية

كلية التربية – جامعة عين شمس

أ. د/ صلاح السيد عبده رمضان

أستاذ أصول التربية

كلية التربية – جامعة بنها

خالد عبد الله القرشي أحمد

الأسس الفلسفية للخطاب التربوي عند الطريقة المحمدية الشاذلية

(دراسة تحليلية)

إعداد

أ.د/ زينب حسن حسن أستاذ أصول التربية

أ.د/ صلاح السيد عبده رمضان أستاذ أصول التربية

خالد عبد الله القرشي أحمد

مقدمة

يمتلئ التاريخ الثقافي والفكري للشعوب بالعديد من التجارب الغنية، التي أثرت في المجتمع عبر مراحل التاريخ، وما يزال أثرها قائمًا، وتصبح مهمة البحث العلمي- في هذا الإطار- محاولة الكشف عن جوانب هذا التأثير، لأن ذلك يسهم بصورة كبيرة في إظهار جوانب التكوين الثقافي لأي شعب من الشعوب، وإظهار مدى التبادل الثقافي بين الشعوب المختلفة.

وفي مجال التربية يبدو الاهتمام بالتكوين الثقافي لأي شعب أمرًا ذا أهمية كبرى، لأن التربية هي العامل الأساس في تشكيل فكر هذا الشعب ومستوى ثقافته، وهي المدافع الأول عن ثقافة هذا المجتمع أمام أي غزو ثقافي أو فكري وافد من شرق أو غرب، ومن هنا تصبح مهمة الباحث التربوي عسيرة وصعبة إلى حد كبير، وتصبح هذه المهمة أكثر صعوبة في مجتمعنا الحاضر، الذي يراد له طمس فكره، ومحو عالم ثقافته بما يسمى بفكر العولمة بكل اتجاهاتها ومجالاتها.

وهنا تبدو أهمية دراسة الخبرات التربوية للتيارات المنتمية لثقافتنا وفكرنا النابع من القيم الدينية السائدة في مجتمعاتنا الشرقية، ذات البعد الديني الغالب عليها، لأن هذه التيارات تمثل في الغالب- جزءًا أصيلًا من هذا المجتمع.

إن المجتمع المصري يموج بعدد من هذه التيارات الفكرية، التي تأخذ حظها من الذيوع والانتشار بحسب قوتها، أو ضعفها وانطفاء دورها، وبحسب مدى اقتناع الناس بها، أو إعراضهم عنها.

والطرق الصوفية واحدة من هذه التيارات، فهي تنتشر بين قطاع كبير من أفراد الشعب المصري وغيره من الشعوب الإسلامية على مدى فترة تاريخية طويلة، حيث ينخرط في هذه الطرق" عدد من المتفقين، وأنصاف المثقفين، والعوام وغير الواعين.

وتعتمد هذه الطرق في فكرها على فكرة التصوف، الذي يرى علماء هذه الطرق وأربابها أنه نمط أعلى من التدين الراقي، فالتصوف لديهم إخلاص لله على الحقيقة وطاعة بلا رياء، وتقرب بلا اشتراط، وهو مجاهدة وصبر على الأذى.

والتصوف لدى هؤلاء تعبير سلوكي عن جوهر الدين الإسلامي، وعن طريقه يرقى الإنسان ويسمو فكره، وعن طريقه "يتوصل إلى قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بذلك إلى تحلية القلب بذكر الله سبحانه وتعالى، أما تحلية النفس بالصفات الكاملة كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والأدب والمحبة والذكر والمراقبة، فللصوفية بذلك الحظ الأوفر من الوراثة النبوية في العلم والعمل.

وتعتبر الطريقة المحمدية الشاذلية، ومعها العشيرة المحمدية، واحدة من هذه الطرق الصوفية، ذات الأثر التربوي الفعال في المجتمع المصري، بل في أنحاء متفرقة من العالم كله، وقد بدأ ظهور هذه الطريقة في النصف الأول من القرن العشرين، وقامت بدور كبير في إصلاح التصوف الإسلامي، والطرق الصوفية في مصر، كما قامت بدور كبير في تحقيق الدور التربوي للطرق الصوفية؛ حيث سعت- جاهدة- إلى تفعيل دور الطرق الصوفية في تربية النفس الإنسانية المسلمة وتهذيبها؛ ولذلك تفرعت أدوارها وتشعبت أنشطتها بصورة واضحة منذ نشأتها حتى الآن، وذلك لأنها تعتمد في نشأتها على قواعد وأسس صوفية راسخة، ولها منهج خاص في السلوك الصوفي.

وعلى هذا الأساس تصبح مهمة هذا البحث الكشف عن الأسس والمنطلقات الفكرية والفلسفية للخطاب التربوي عند الطريقة المحمدية الشاذلية، باعتبارها واحدة من الطرق الصوفية المعاصرة في مصر.

ومن هنا كانت قضية هذه الدراسة على النحو التالي:

قضية الدراسة:

يستند الخطاب التربوي الصوفي لدى الطريقة المحمدية الشاذلية إلى أسس ومنطلقات محددة، تشمل هذه الأسس فيما تشمل: نظرة هذه الطريقة إلى الله تعالى، ثم الكون، والإنسان، والمعرفة، والقيم، كما تشمل- أيضًا-: القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، وسير وأقوال الصحابة والتابعين، وتمثل هذه الأسس مجتمعة فلسفة دينية واجتماعية، ومنطلقات فكرية، يستمد منها الخطاب مرجعيته الفكرية الأساسية، وهي التي من خلالها يحدد هذا الخطاب هويته وأولوياته ومطالبه، وهي- أيضًا- الأصول التي يستمد منها فكرة وأدلته وبراهينه.

وتتضح قضية هذه الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

"ما الأسس الفلسفية للخطاب التربوي عند الطريقة المحمدية الشاذلية؟"

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

1- ما الأساس الفلسفي الأول للتصو.ف عند هذه الطريقة؟

2- كيف تنظر هذه الطريقة إلى الكون، وإلى الطبيعة الإنسانية؟

3- كيف تنظر هذه الطريقة إلى المعرفة الإنسانية، وإلى القيم الأخلاقية، وإلى الأخلاق؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- الكشف عن فكرة الطريقة المحمدية الشاذلية عن الله تبارك وتعالى.

2- تحديد أفكار هه الطريقة عن الكون وما يتعلق به.

3- تحديد أفكار هذه الطريقة عن الطبيعة الإنسانية، وكل ما يتعلق بها.

4- الكشف عن نظرة هذه الطريقة إلى المعرفة الإنسانية.

5- الكشف عن رأي هذه الطريقة في القيم الأخلاقية وأهميتها للإنسان المعاصر.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

1- تعتبر هذه الدراسة محاولة لسد فجوة كبيرة في الدراسات العلمية في هذا المجال، حيث إن الدراسات التي تناولت الفكر الصوفي تناولته في فترات زمنية متقدمة، ولأن هذه الدراسة هي الأولى التي تتناول الأسس والمنطلقات الفكرية والفلسفية للخطاب التربوي لهذه الطريقة.

2- يعتبر فكر هذه العشيرة مكونًا من مكونات الثقافة المصرية، وذلك بما لهذه المؤسسة من تاريخ طويل في خدمة التصوف الراشد، يعرفه كثير من الدارسين والمتابعين لحركة التصوف عبر القرون الماضية في مصر وغيرها.

3- تحدد هذه الدراسة كثيرًا من الجوانب الاجتماعية والتربوية لفكر الطريقة المحمدية والعشيرة المحمدية في العصر الحاضر، الذي يموج بكثير من التيارات الفكرية والأيديولوجية التي تحاول فرض نفسها على المجتمع المصري في عصره الحاضر.

4- تشارك هذه الدراسة في إحياء بعض الجوانب الروحية في المجتمع المصري؛ لأن حاجة المجتمع المصري إلى هذه الجوانب الروحية المستمدة من الإسلام شديدة، فعصرنا الحاضر تغلب عليه الحياة المادية

في كثير من نواحي الحياة، ويفرض هذا على مؤسسة العشيرة المحمدية وغيرها من المؤسسات التابعة للطرق الصوفية يفرض عليها القيام بدورها على الوجه الأكمل.

5- أن هذه الطريقة الصوفية بفكرها تعد واحدة من طرق التأثير التربوي والاجتماعي في المجتمع المصري، ويساعدها على ذلك كثرة أتباعها والمنتسبين إليها.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهجين البحثيين التاليين:

1- المنهج الوصفي:

لأن طبيعة الدراسة تفرض على الباحث أن يتبنى هذا المنهج؛ حيث إنه يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد في الواقع.

2- أسلوب تحليل الخطاب:

وهو أسلوب يعتمد على تحليل المعاني الكامنة بالنصوص أو عبر النصوص، وسوف يعتمد الباحث على قراءة ودراسة فكر هذه الطريقة، لتحديد الأصول الفلسفية التي أنتجت الخطاب التربوي لها.

ويعتمد هذا الأسلوب على ما يلي من خطوات:

أ) دراسة المصادر التي تناولت فكر هذه الطريقة.

ب) استخراج أقوال علماء وشيوخ هذه الطريقة.

ج) قراءة هذه الأقوال قراءة واعية بفهم ودراسة.

د) تحليل هذه الأقوال واستخراج ما فيها من أفكار.

هـ) تأويل هذه الأفكار وتفسيرها وتحديد التعليقات التي تساعد على الكشف عن مضمون فكر هذه الطريقة الصوفية.

خطة الدراسة:

سيرًا على المنهج المتبع في هذا البحث، فإن البحث التربوي– هنا– سوف يتطور تبعًا للخطوات التالية:

أولًا: تحديد فكر هذه الطريقة عن الله تبارك وتعالى.

ثانيًا: تحديد أفكار هذه الطريقة عن الكون وما يتعلق به.

ثالثًا: تحديد أفكار هذه الطريقة عن الطبيعة الإنسانية وما يتعلق بها.

رابعًا: تحديد أفكار هذه الطريقة عن المعرفة الإنسانية وأهميتها.

خامسًا: تحديد أفكار هذه الطريقة عن القيم والأخلاق ودورهما في حياة الإنسان المعاصر.

وفيما يلي عرض مفصل لهذه الخطوات:

أولًا: توحيد الله عز وجل:

الله تعالى عند الصوفية هو المعبود الأوحد، الذي خلق الكون كله، وهو المستحق للعبادة ولذلك يؤمنون بتوحيده؛ انطلاقًا من عقيدة الإسلام، الذي تفرض على كل مسلم، أن يؤمن بالله تعالى، ربا، خالقًا، واحدًا، أحدًا فردًا، وهو تعالى الواحد، المعروف قبل الحدود، وقبل الحروف، ولذلك يؤمنون بعقيدة التوحيد، التي هذ توحيد الله تعالى بالوجود، أزلًا وأبدًا، وهو الواجد لكل شيء.

قال القشيري: "سئل الجنيد عن التوحيد، فقال: إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته، بكمال أحديته، أنه الواحد الذي لم يلد، ولم يولد، بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، وبلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير، ولا تمثيل، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير".

الله– عز وجل– في فكرة الطريقة المحمدية:

تعتمد فلسفة الخطاب التربوي عند هذه الطريقة فيما يخص ذات الله تعالى وصفاته على مبادئ وأفكار أساسية، لا غنى عنها لأي مسلم، ولأي صوفي، تقوم هذه الفلسفة على ركائز محددة، لا يقوم إيمان العبد إلا بها، هذه الركائز هي:

1- **وجوب توحيد الله عز وجل:**

تهتم الطريقة المحمدية الشاذلية بتوحيد الله تعالى، لأن هذا أساس من الأسس الفلسفية لدعوتها الصوفية، فالتوحيد هو أصل الدين، وهو قائم على أن الله تعالى حق ثابت، قبل إثبات المثبت، وهو واجد هذا الكون، وهو خالق الإنسان، وهو الذي أرسل إليه رسله، مبشرين ومنذرين، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "يا بني: إنك عالم بمقتضى ورقة أسقطها الله إليك من شجرة الرسمية، التي لا تبصر ولا تعي، شجرة الرسمية المحكومة بالامتحان الإلهي، الذي لا تترتب أحكامه على مقتضى مفاهيمنا وأقيستنا، ولكنه يمضي على سنة الغيبية، وسر حكمته المستور المسمى بيننا بالخط والمكتوب، ولهذا كان وزننا نحن للشهادات الرسمية وزنًا قد لا يرضى عنه الكثير من عبيدها وعبادها، فلك فهمك على مقتضى علمك المؤيد بالشهادة الرسمية، أما نحن الصوفية فاسمع ما نقول فيما تسأل عنه ملخصًا: إن الحق تعالى ثابت قبل إثبات المثبت، ومن كان ثابتًا بنفسه؛ فهو غير محتاج إلى إثبات أحد، فقول: لا إله إلا الله، إنما يريد بها الصوفي المؤمن مجرد ترديد التأكيد، مع رجاء ثواب التلاوة، ومتعة القلب، بالتحقيق والاندماج في أغوار المعنى الأقدس، هل فهمت أين نحن؟ فاللت والعجن القشري السطحي الأحمق، والتقليد القردي الببغاوي، المنقول المكروه في قضية الشرك والتوحيد عند المسلم، وقصة الفرق بين الربوبية والألوهية، ومسرحية الشفاعة والوسيلة... إلخ؛ ضع كل ذلك بتفاصيله وجزئياته وملحقاته، وتوابعه وأهدافه في كفة، والمعنى الذي قررته لك في "لا إله إلا الله" في كفة" (2).

2- الله تعالى هو الواجد للكون:

الله تعالى هو الواجد لهذا الكون، وقد خلق الخلق من العدم، يؤكد الشيخ هذه الحقيقة فيقول: "كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، نقول: أي: كان سبحانه قائمًا بنفسه في غناء المطلق، ثم خلق- سبحانه- الخلق من العدم، وهو غني عنهم، وإنما كان الخلق اقتضاء ذاتيًا، لصفة القدرة الأزلية، فلا يسأل سائل عنه بكيف؟ ولا لم؟ وكان تجلي صفات الجمال مفاضًا على تجلي القدرة والإدارة، فكان الخلق لمصلحة الخلق أنفسهم، فالأصل أن يكون الخلق مظهرًا للتجليات الجمالية، ثم كانت التجليات الجلالية ضرورة وقائية وعلاجية للاستقامة على النهج الجمالي، وحفظ رتبة الحق مع الخلق، فالإنعام أصل، والانتقام ضرورة لحفظ الإنعام، فهو كذلك أصل، تتم به دورة الكمال في تجلي القدرة، فلابد من وجهي المقابلة، حتى لا نحكم على صفات الحق بالتعطيل، ومعقولية الكمال في الأشياء تستوجب عمل الطرفين المتضادين لتستبين خصائصها وميزاتها، فالأسود يكشف الأبيض، والملح يفسر

الحلو، والليل يدل على النهار، والقهر يميز الرحمة، وهكذا، ومصلحة الخلق وخيرهم محصور في المفهوم الجامع لمعنى العبادة {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} (3)، فالعبادة إنما توجه إلى الله شكرًا له على نعمة الخلق وإفاضة الخير، ثم لأنه لابد للعبادة من قبلة توجه إليها، وليس أقدس من ذات الحق تعالى، إذ لا معنى لعبادة غير موجهة، ثم لأنه سواء وجهت العبادة بالنية إلى الله، أو لم توجه فإنها له، حتى لو وجهت إلى وثن، لأنه تعالى وحده مستحقها وصاحبها، وهي منه وإليه في واقع الأمر، فكل ما سواه باطل، والباطل لا يعبد في حقيقته، ولا تتوجه إليه العبادة أبدًا، وإن عبده الناس" (4).

ولم يكن مع الله تعالى خلق في الأزل، بل هم موجودون بعد أن أوجدهم عز وجل، فكل ما عدا الله تعالى عدم؛ لأنه من العدم، ونهايته عدم، وما كان بدايته عدما ونهايته عدما، فكل ما بين الحالتين عدم، حيث: "لم يكن مع الحق تعالى خلق في الأزل، ثم أوجدهم تعالى من العدم، والمخلوق من الشيء جزء منه، وإن تغيرت صورته، فما أصله العدم هو عدم في حقيقته الذاتية، فالحياة والإدراك والحركة والإنتاج صفات غير طبيعية في العدم، لكنها طارئة عليه، وعارضة له، فهي لا تغير من حقيقته، ولا تجعله أكثر من عدم مصور في نماذج من الحياة الطارئة عليه، وهذه النماذج هي التي تسمى خلقًا وأكوانًا، وهذا العدم بالطبع إنما يتحرك ويدرك بغيره، لا بنفسه، ومن غيره، لا من نفسه، فإطلاق اسم الوجود على هذا العدم من قبيل المجاز، لما في هذا العدم من صورة الوجود المعار له من الوجود السرمدي الخالد، وصورة الوجود المعار شيء غير حقيقة الوجود الذاتي الفياض؛ مثال ذلك تقريبًا: أنك تقول هذا ضوء القمر، والحقيقة أن القمر لا ضوء له، لأنه جسم مظلم بالفعل، أما ضوؤه الذي نراه فإنما هو انعكاس من نور الشمس عليه، فصفة الضوء بالإضافة إلى القمر مجازية، وبالإضافة إلى الشمس حقيقة فعلية، وكذلك قيومية الأكوان عارية، مفاضة من قيومية الديان، فلا وجود للأكوان بالمعنى الذاتي ولا بحكم الحقيقة الواقعية، وما لا وجود له من ذاته فهو معدوم أو هو العدم" (5).

3- الله تعالى هو الباقي:

ويبقى وجه الله تعالى، ويفنى الكل، بهذا تؤمن هذه الطريقة، ومن هذا ينطلق تصوفها، يقول الشيخ: "والقرآن يقول: {**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**} (6) و {**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**} (7) ولفظ "هالك" و "فان" هنا في حكمهما اللغوي تفيدان الحقيقة الواقعة، فالأكوان وما عليها وما حولها شيء هالك،

فان في ذاته، وإنما هو حي، موجود بقيومية الحي الموجود، فقيومية الأكوان غير استقلالية، ولا ذاتية، وذلك {**وللهِ المَثَلُ الأَعْلَى**} كالأعراض، وجودها تابع لوجود الذات، أو كالصورة في المرآة، موجودة بوجود الواقف أمامها، فيما تراه العين، فإذا أنت ذهبت تمسك هذه الصورة لم تجد شيئًا في المرآة، إنما هي عدم مصور في نموذج حي غير مستقل بوجود ذاتي". (8)

ولذلك يعترض شيخ الطريقة على ما أثير في وقته من ادعاء بعدم وجود إله لهذا الكون، مما عرف في الفكر المادي الدنيوي، وآمن به بعض الناس، يقول الشيخ: "إن قول القائلين بعدم وجود الإله قائم على اعتماد أزلية المادة، وقد كانت النظريات المقررة قديمًا في علم الطبيعة؛ تقرر عدم فناء المادة إطلاقًا، وإنما هي تتحول في رأيها من وضع مادي، إلى وضع مادي آخر، فهو نوع من تحلل العناصر، أو تجمعها واتحادها، أما اليوم فقد أثبت العلم الحديث، العلم المستقر الذي أنتج تفتت الذرة، والأقمار الصناعية والصواريخ الموجهة، وما إلى كل ذلك، هذا العلم الذي هدم النظريات الطبيعية، التي بلغت درجة التقديس قرونًا، وأضلت الخلق فيها شر ضلال، هذا العلم يقول بثبوت تحول المادة إلى طاقة، عمليًا ومعمليًا، وأن الأصل الكوني الأول هو الحركة، أي: لا شيء، إذن فليست المادة أزلية، فإنما أصلها (لا شيء) فهي عدم، وهذا العدم أثبتته المعادلات الطبيعية، والرياضية وغيرها، فمتى ما ثبت أن المادة متحولة متحللة، فقد ثبت أنها غير أزلية، ومعنى هذا أنها وجدت من لا شيء، وهو العدم، والمعادلة الطبيعية في أبسط صورها تقول: (عدم + عدم – عدم × عدم = عدم)، وبالتالي تقول المعادلة الرياضية: إن الواحد ليس هو أصل الأعداد، فقبل الواحد (شيء) يعبر عنه بالصفر، وهو (لا شيء)، فيقال: (صفر + صفر – صفر × صفر = صفر)، وقد قرر هذا فيلسوف من أكبر علماء ألمانيا، كان من خلفاء (أينشتاين) فمن أهلهم شهد شاهد عليهم". (9)

4- ضرورة الإيمان بغيب الله تعالى:

ووجود الله تعالى يقتضي وجود غيبيات له، اختص الله تعالى بها نفسه، فلم يطلع عليها أحدًا من خلقه، قال الشيخ: "علم الغيب جميعًا بتفصيل جزئياته بين الأزل والأبد، خصيصة إلهية، لا تكون لبشر، ولا جن، ولا ملك أبدًا، وإليها الإشارة بقوله تعالى: {**وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ**} (10) وبقوله تعالى على لسان أنبيائه: {**ولَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ومَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**} (11)

فالغيب هنا الغيب المطلق، السرمدي الشامل، وفيه قوله تعالى: {**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ومَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ**} [12] وقوله: {**ولاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ولا أَعْلَمُ الغَيْبَ**} [13] ونحو هذه الآيات." [14]

وقد يطلع الله بعض عباده من الأنبياء والمرسلين، ثم من الصالحين على بعض غيبه: "وقد يتفضل الله فيظهر بعض أنبيائه على شيء يشاء به من أمر غيبه، تكرمًا منه، وتثبيتًا لهم، وتحديًا لخصومهم، وتعريفًا بشأنهم، فذلك قوله تعالى: {**عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ....**} [15] وعلى هذا تحمل أعلام النبوة وأخبارها التي لا تزال تصدق، ولا يقال في مثل هذا: إنهم أحاطوا بشيء من الغيب، فليس هذا في مقدورهم قط، ولكن يقال: إن الله أحاطهم بما شاء، وكذلك قد يمتد فضل الله إلى ورثة الأنبياء من عباده الصالحين، وأوليائه الخوص، تفضلًا منه ونعمة، فيحيطيهم ببعض أسراره في علم غيبه، وقد يكون ذلك ابتداء منه تعالى، أو استجابة لرغبة عن سبب من أولئك المقربين إليه، وقد يكون ذلك فتحًا ربانيًا بالكشف الروحي، أو بالإلهام أو الإدراك القلبي، وكلتا المرتبتين من ميراث النبوة في الفيض والمدد، وذلك قوله تعالى: {**ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ**} [16]، وهذا القسم عام في الخليقة، يتأدى إليه الصالحون بأسباب الصفاء والتقوى، ويتأدى إلى غيرهم بأسباب شتى، فإنه ما من حق إلا وله باطل يشبهه، وذلك ما يسميه العلماء بالاستدراج". [17]

5- الحلف لا يكون إلا بالله تعالى:

يقتضي الإيمان بالله تعالى – لدى فكر ومبادئ هذه الطريقة – من العبد ألا يحلف إلا بالله تعالى، وهذا هو الأصل، ولكنهم أجازوا الحلف بغير الله تعالى، انطلاقًا من عفو اللسان، ويرون أن ذلك لا يخرج العبد عن دائرة الإيمان، أو يدخله في دائرة الشك، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "تلقيت كتابًا حزينًا من شاب مسلم، حلف بأبيه ليفعلن شيئًا، فسمعه متسلف أحمق، فحكم عليه جزافًا بالشرك، وأمره بأن يغتسل ويستشهد، ويعود للإسلام من جديد، ويعقد على عروسه مرة أخرى، فقد أشرك بالله شركًا صحيحًا إذ حلف بأبيه.. فخرج من الإسلام في رأي هذا المتسلف الأحمق، ونحن في حيرة من أمر هؤلاء الحمقى المتشدقة المتفيهقة السطحيين، وإن كنا نعرف أن اتهام الناس بالشرك فيما مضى له سبب استعماري معروف لكل متتبع للتاريخ الإسلامي، فعندما استحكمت شهوة الغزو والتوسع الاستعماري،

والثارات الموروثة من نفوس أحد الحكام العرب، كان بجواره عالم محنك، ابتدع له فكرة تقسيم أهل القبلة إلى مسلمين موحدين، هم هذا الأمير ومن تبعه، وأما غيرهم فمسلمون مشركون، دماؤهم حلال، وأموالهم حلال، ونساؤهم حلال، كالصابئة واليهود والمجوس، سواء بسواء، حتى يلتمس من وراء ذلك سببًا مشروعًا للغزو والنهب، وأخذ الثأر، وكان كذلك، ثم تطورت هذه الفكرة في ألوانها الدينية السياسية والاستعمارية، ووجدت أنصارها، من الدهماء والمغفلين والمصدورين، والإمعات، وطلاب المال والجاه، وبلهاء العلماء، وأشباه المتعلمين، والأفكار كبني آدم، تسعد وتشقي، وقد تهيأت المناسبات لهذه الفكرة، فتقلبت بين السعود والشقاء، حتى أصبحت اليوم حرفة، يمتهنها المفرقون بين الأمة، الطالبون للبراء العيوب، ولا عليهم بعد ذلك من شؤم هذا النعيب، ونحسه العميق، وتصديع صفوف المسلمين، وتوزيع جماعتهم، وتمكين عدوهم من وطنهم وعقيدتهم، باسم السلفية والسنة، والله يشهد أنه لا سلفية من خلف ذلك ولا سنة، وإنما هو الغرض والهوى، والاتجار والنفعية الخسيسة الخبيثة، التي أيدنا الله عليها، حتى كشفت عورتها بيدها، فإن نعيش فلن تعيش هي قط، وعندما يأتي أمر الله؛ ففي رقاب من بعدنا إتمام هذه الرسالة المقدسة، وبعد، فإن قوله صلى الله عليه وسلم: **(من حلف بغير الله فقد أشرك)** [18] معناه: أن الحالف قال قول المشركين، كما لو كانت تلوي لسانك برطانتهم، أو تقلدهم في تعبيرهم، ومن تعبيرهم الحلف بغير الله، فأنت تقول قولهم، إذا مارست هذا الحلف، وشتان بين أن تقول قولهم، وبين أن تعتقد عقيدتهم" [19].

ثم يعود الشيخ فيؤكد "فالنهي عن الحلف بالآباء له حكمته الدقيقة البالغة، والتأكيد في التحذير منه؛ هو لوقاية البيئة الإسلامية، وحماية تقاليدها، والحفاظ الشديد على مشخصاتها ومعالمها وخصائصها، لا إخراج الناس منها وطردهم عن حدودها، ومن ثم جاء الحديث الثاني كاشفًا معالم الحديث الأول، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت) [20] فلم يقل: أو ليخرج من الدين، ولا أن عليه أن يذهب، فيغتسل، ويعود إلى الإسلام، ويجدد العقد على عروسه، إلى آخر هذه التهاويل السحرية الغالية، بل إن الحديث يجعل الحلف بغير الله، ومنه الحلف بالآباء، يجعله خلاف الأولى فقط، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: (فليحلف بالله أو ليصمت)، فجعل الصمت خيرًا من الحلف بغير الله وأولى، ولم يرتب عليه إثمًا غليظًا ولا كبيرًا، فكان مفسرًا لمعنى الشرك في الحديث الأول، على الوجه الذي شرحناه، فنهى الله ورسوله عن الحلف بالآباء؛ إنما هو توجيه إلى الأولى

والأمثل، والتحذير فيه للترهيب، حفاظًا على العقيدة، وذاتية الإسلام، وقد حلف الله بشخص حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: {**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**} [21]، فسنة الله أن الحلف بغير الله عفو اللسان، وعبر العادة، لا تفضيلًا على الله، ولا تعمد المخالفة، فلا شيء أبدًا على الحالف، بل لعله ملحق باليمين اللغو، بل لعل الحالف بأبيه على هذه الصورة يكون قد أتى بسنة ثابتة، فإنه قد صح أن النبي حلف لرجل بأبي الرجل، ولو كان الحلف بالآباء من الشرك الصحيح ما فعله الرسول، وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى" [22].

6- ضرورة التوجه إلى الله تعالى بالدعاء:

ومن التوحيد لله – عز وجل – أن ندعوه في كل حالنا، وأن نناجيه دائمًا، ذكرًا له، فهو وحده المستحق للدعاء والذكر "إيه أيها الحق الذي من أجلك نحيا، وفي سبيلك نجاهد، باسمك وحدك نتحدث، وباسمك وحدك نكتب، وباسمك وحدك نمضي إلى الغاية الكبرى للصوفية، ما ذكرنا في مجالسنا إلا أنت، ولا افتخرنا بين إخواننا إلا بك، ولا اعتصمنا في محننا إلا بقوتك، ولا تحملنا المتاعب إلا خدمة لقدسك، ولا هجرنا لذائذ الحياة ومفاتنها وزينتها إلا انشغالًا بمتعة الركون إليك، يا الله، يا حق، بك نستنصر، فانصرنا إذا استنصر الناس بالناس، وبك نستغني، فأغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، وعليك اللهم نتوكل، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، يا نعم المجيب، فيا خسارة من وكلته إلى نفسه، فلم يرى سواها، ويا بلية من أمهلته وأمليت له، فدساها وما زكاها، وكان أشقاها، اللهم فكل عز من غير بابك ذل وفضيحة، وكل أمل في غير جنابك سراب وخديعة، اللهم يا عالم الأسرار لا تهتك الأستار، وأنت رب الأبرار، ورب الفجار [23].

7- وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه الحسنى:

ومن توحيد الله تعالى والإيمان به كذلك: الإيمان بصفاته بكل أنواعها، سواء كانت صفات للكمال، أو صفات للجمال، يقول الشيخ: "صفات الكمال لا تتناهي، كما قدمنا، ولكن جمهور العلماء اختاروا ثلاث عشرة صفة، لغلبة الظن بأنها تجمع أهم معاني الكمالات، في تعتبر أمهات للصفات الإلهية عندهم، ولهذا قالوا: إنها الواجب في حق الله تعالى تفصيلًا، وهي:

(1) الوجود. (2) القدم.

(3) البقاء. (4) المخالفة للحوادث.

(5) القيام بالنفس. (6) الوحدانية.

(7) القدرة. (8) الإرادة.

(9) العلم. (10) الحياة.

(11) السمع. (12) البصر.

(13) الكلام.

وقد قسموا هذه الصفات تقسيمًا اصطلاحيًا كالآتي:

فمنها الصفات النفسية: وهي صفة (الوجود) وحدها، لأن وجوده تعالى هو نفس ذاته، والدليل البسيط على الخالق، كما أن الصنعة تدل على الصانع، ومنها الصفات السلبية: أي التي سلبت ونفت عن الله ما لا يليق به، وهي خمس صفات:

(1) القدم: فالله أزلي دائم، لا نهاية لوجوده.

(2) البقاء: فالله أبدى دائم، لا نهاية لوجوده.

(3) مخالفته تعالى للحوادث (أي للخلق)، فلو شابهم في شيء لكان مثلهم، يجري عليه ما يجري عليهم، وحاشًا له تعالى، وكل ما خطر ببالك؛ فالله بخلاف ذلك.

(4) قيامه تعالى بنفسه: أي عدم احتياجه إلى غيره، في وجوده، وتصرفات إلوهيته فهو القيوم.

الذي قامت بقيومته جميع الأكوان.

(5) الوحدانية: وهي عدم التعدد، فسبحانه وتعالى ليس معه إله، ولا ذاته مركبة من أجزاء ولا نظير له في صفة من صفاته: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}** [24]، **{ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}** [25].

ومنها صفات المعاني: أي: جماع بقية الكمالات، وهي سبع صفات:

(1) **القدرة**: ووظيفتها الإيجاد والإعدام جميعًا، فلا مستحيل عليه تعالى، وما شاء الله كان، وهو على كل شيء قدير.

(2) **الإرادة**: ووظيفتها تخصيص الممكنات (المخلوقات) ببعض ما يجوز عليها، على ما سبق في علمه عدلًا وفضلًا، أي أنه تعالى هو المختار الفعال في كل ما ظهر وما بطن، فيما نرى، وما لا نرى، وما علمنا، وما لم نعلم.

(3) **العلم**: صفة أزلية وجودية، بها تنكشف جميع الموجودات والمعدومات على ما هي عليه انكشافًا ذاتيًا إحاطيًا إلهيًا، من الأزل إلى الأبد.

(4)، (5) **السمع والبصر**: وهما صفات أزليتان وجوديتان، تنكشف الموجودات بكل منها انكشافًا سرمديًا مستقلًا مخصصًا، غير انكشاف العلم.

(6) **الكلام**: وهو كذلك صفة أزلية وجودية، منزهة عن الحروف والأصوات فهي دالة على جميع المعلومات الإلهية، على مقتضى التنزيه الإلهي المطلق.

(7) **الحياة**: وهي صفة أزلية وجودية، لا تثبت جميع صفات الكمال إلا معها، وهي بالذات تستوجب صحة الاعتراف بكل كمال لله تعالى.

هذه الصفات الثلاث عشرة، زاد عليها بعض العلماء صفة نسميها "الكونية " أي: الاستمرار، ونفي تعطل الصفات الإلهية، أو انتهاء وظيفتها، والمراد هو إثبات ديمومة فاعلية هذه الصفات وحركتها، بديمومة الموصوف بها عز وجل [26].

8- ضرورة الرضا بقضاء الله تعالى:

من مقتضيات الإيمان بالله تعالى وتوحيده الرضا به- عز وجل- يقول الشيخ: [27]

راض عـــــن الله في ســـــري وفي علـــــني ... راض عـــن الله مهمـــا كـــان مـــن زمـــني
راض عـــــن الله إني إن رضـــــيت بمـــــا ... يرضـــــيه فهـــــو سيرضـــــيني ويـــــرحمني
راض عـــــن الله وهـــــو المرتجـــــى فـــــإذا ... مـــا مســـنى الضـــر أرضـــاني وأنقـــذني
راض عـــــن الله إيمـــــانًا بـــــه وغـــــنى ... ومـــن يلـــذ بغـــنى الـــذات فـــو غـــني
راض عـــــن الله إني إن غضـــــبت فلـــــن ... أغـــير الأمـــر أو ارتاح مـــن شـــجني

جـــارت علـــى مقـــادير وأقضـــية حـــتى كـــأني مخلـــوق مـــن المحـــن
أرحـــت نفســـى بالتســـليم مقتنعًـــا بأن رحمـــة ربي لـــيس تســـلمني
فوضـــت أمـــري لـــه، إني وثقـــت بـــه ربا رحيمًـــا بعيـــد فيـــه ممـــتحن
وبعـــت نفســـى في ســـاح الرضـــا وبـــه خلعـــت نعلـــى لم أضـــعف، ولم أهـــن
عملـت مـا اسـتطعت فلـيمض القضـاء كمـا يمضـى لعـل خفـى اللطـف في الفـتن
رضـاك أرجـو فـإن كـان الرضـا قـدري فكـل مـا شـئت يا مـولاي يسـعدني
أقمتـــني في مقـــام العـــز ممتحنًـــا ومـــن يقـــم في مقـــام العـــز لم يهـــن

ثانياً: الكون:

فكرة الكون ليست معزولة عن فكرة وجود الله تعالى، في الإطار الأيديولوجي الإسلامي، وإنما هي فكرة مكملة لها، وذلك لأن الكون هو موضوع قدرة الله سبحانه، بمعنى أنه إذا كان الله سبحانه خالقًا، فإن الخلق هو هذا الكون، وإذا كان الله سبحانه قادرًا، فإن قدرته تتبدي في هذا الكون.

1- مفهوم الكون:

الكون هو: كتاب الله المفتوح، وهو الذي تظهر فيه قدرات الله تعالى، وآلاؤه، ومظاهر إعجازه، فالكون هو الآيات الإلهية غير المكتوبة، والإنسان جزء من هذا الكون، وبرغم ذلك فإنه مطالب أن يفكر في هذا الكون، والإسلام يصور الكون بأنه مخلوق، خلقه الله تعالى لهدف ولغاية، وقد وضع الله تعالى قانونًا لتسيير نظام هذا الكون، لا يختل ولا يتبدل، وكل ما في هذا الكون يعبد الله تعالى ويسبح له.

وينطلق التصوير الإسلامي للكون لدى هذه الطريقة من أن الكون هو كل ما عدا الله تعالى، من سماوات وأرضين، وبحار، وأنهار، وجبال، ونباتات، ووديان، وسهول، وغير ذلك.

2- ضرورة الإيمان بعوالم الكون:

كما أن هنالك عوالم أخرى في هذا الكون، لا يعلم وجودها إلا الله تعالى، كشف بعضها لعباده، ولم يكشف بعضها الآخر، هناك عالم الملائكة، وهم خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى، وهناك عالم الجن، وعالم الأرواح، وقد أكد العلم الحديث وجود هذه العوالم، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "آخر اكتشافات العلم الحديث: يعترف بوجود الملائكة والجن والأرواح، في الصحف الصادرة بالقاهرة بتاريخ (1965/12/10) أعلن فريق من العلماء الألمان والأمريكيين أنهم توصلوا إلى طريقة جديدة لإنتاج طاقة هائلة، تفوق الطاقة الذرية، وتمكنوا من إنتاج جسيمات ذرية مضادة للبروتونات من الضوء لأول مرة، باستخدام جهاز تحطيم الذرة- الإليكترون سنيكروتون- وأعلن البروفيسور (بيتر شتايلين) أحد العلماء الأحد عشر الذين يعملون كفريق واحد في مركز أبحاث الطبيعة الذرية في غرب ألمانيا، أنهم استطاعوا إنتاج 18 من هذه الجسيمات، وهي نويات ذرات الهيليوم، ذات الشحنة الكهربائية السالبة، وهذه الجسيمات السالبة عندما ترتطم مع توائمها ذات الشحنة الموجبة تنطلق منها طاقة هائلة، تفوق الطاقة الذرية، وهذا الاكتشاف المثير أدى إلى الاعتراف بوجود عوالم أخرى في أجزاء معينة من الكون،

مكونة من تجمع هذه الجسيمات المضادة، ولكنها لا ترى، والذي يهمنا من هذا الكشف هو الاعتراف العلمي المعملي بوجود عوالم أخرى، غير مرئية، مكونة من الجسيمات المضادة أو من غيرها مما لم يصل إليه العلم بعد.

والعلم لم يقل كلمته الأخيرة في أي شأن، ولكنه يقف عند نهاية الشوط الذي يقطعه دون ادعاء بلوغ آخر نقطة، وقد كنا إلى أمس الأقرب، نتهم بالتخريف والشعوذة، حتى من علماء المسلمين، إذا قلنا بوجود عوالم مغيبة مستورة عنا، كعوالم الروح، والجن، والملك، وما وراء المنظور، مما نسميه بالسمعيات.

واليوم يأتي العلم الحديث على أرقى مستوياته، وفي أحدث مكتشفاته، فيقول بوجود العالم الثاني، بكل مقتضياته، كما رأيت، وهو لا يزال في بداية المضمار، فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، كما قال تعالى: **{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ واتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}**" (28)" (29).

ولا ترى هذه الطريقة الفكرة القائمة على أن الكون هو الله تعالى، بل هي تعارض ذلك كل المعارضة، يقول الشيخ: "ليس من التصوف الإسلامي: القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه، أو أن مسلمًا عاقلًا رفع عنه التكليف، وليس من التصوف: القول بالحلول أو الاتحاد، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله، والله هو الكون، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم؛ فهو مؤول بما يوافق دين الله، أو هو مدسوس على القائل، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيبوبة، على لسان الحق عز وجل، ونحن نستغفر الله للجميع، ونحسن الظن بكلم مسلم" (30).

وقد سخر الله تعالى الكون كله لخدمة هذا الإنسان، الذي جعله الله تعالى خليفة له في هذا الكون، وما كان هذا التسخير إلا تحقيقًا لمبدأ الخلافة العظمى.

ثالثاً: الطبيعة الإنسانية:

يهتم التصوف بالإنسان، لأنه مناط التكليف في الحياة الدنيا، فرجاله وعلماؤه يتفقون مع ما هو سائد في الأوساط الإسلامية من أن الإنسان ما هو إلا روح وجسد، فالإنسان لديهم روح وجسد، لأن الله تعالى سخر جملة مكونات الإنسان، بعضها للبعض الآخر، والحشر يكون لجملة الإنسان، فالإنسان

لديهم كل متكامل، يتأثر فيه الروح بالجسد، ويتأثر فيه أيضًا الجسد بالروح، وحين يفرق الموت بينهما، فإن هذه التفرقة مؤقتة فهما يلتقيان من جديد، ويجمل محمود صديق سلطان خصائص الروح والجسد عند الصوفية، فيقول: "وفي إطار النظرة الكلية للذات البشرية يميز الصوفية بين خصائص الروح والجسد، ويمكن إيجاز ذلك التميز فيما يلي:

(1) إن الجسم مؤلف من أجزاء كثيرة، لكن الروح شيء واحد غير مركب.

(2) إنهما- الروح والجسد- مختلفان في التقيد بالحدود، فالجسد محدود بالجهات، والروح مطلقة غير مقيدة بقيود الأجسام، وإنما قيودها تمثل في الجهل والمخالفات والمظالم.

(3) إن الروح مخالفة للجسد في الكثافة؛ لأن الجسد تحكمه قوانين المادة، بينما الروح في غاية اللطافة، وإنما تعمل الأوزار والأهواء على تكبيلها وتثاقلها.

(4) إن الأرواح لا تتزاحم، بمعنى أنه إذا اجتمع عدد كبير منها في مكان لا يزحم بعضها بعضًا، بخلاف الأجساد، وإنما يكون تزاحم الأرواح بالعداوة والبغضاء وسوء الخلق والتناكر وغير ذلك.

(5) إن الروح مخالفة للجسد في الإدراك؛ لأن الجسد لا يدرك الشيء إلا بالممارسة والحس، والروح تدرك من غير ممارسة، والشيء القريب والبعيد عندها سواء، من حيث القدرة على إدراكه" (31).

ويمكن تحديد مكانة الطبيعة الإنسانية في فلسفة هذه الطريقة على النحو التالي:

1- الإنسان مخلوق من عنصرين: المادة والروح:

على الرغم من أن الصوفية اهتموا بالروح، على اعتبارها أنها الساعية إلى إرضاء الله تعالى، إلا أنهم لم يهملوا الجسد، بل أعطوه الاهتمام اللائق به، لأنه الآلة التي تنفذ أوامر الله تعالى، "ومع إقرار الصوفية بأن الطبيعة البشرية كل متكامل، وأنها تتكون من الروح والجسد، إلا أنهم يرون أن جوهر الإنسان يكمن في طبيعته العاقلة- ممثلة في الروح- وأن الجسم ما هو إلا أداة أو آلة لتلك الطبيعة العاقلة المدركة العاملة، ويكاد يتطابق هذه الاتجاه مع ما ذهبت إليه الفلسفة المثالية من أن الإنسان كائن روحي، وإن الجسد هو الوعاء الحامل لتلك الروح أو العقل، وإذا ما لقي الجسد عناية فمن منطلق ما يقدم للعقل من خدمات، لكن ثمة سبب آخر يدعو الصوفية للاهتمام بالجسد- لم تذهب إليه الفلسفة المثالية- ألا وهو رعاية حق

الله- عز وجل- في الجسد، فالصوفية يذهبون إلى أن الله- عز وجل- كما أمر الإنسان بالنظر في مصالح ذاته من الأعمال الصالحة، أمره كذلك أن ينظر في مصالح جسده، وما يحتاجه من الأغذية والأشربة، والواجب على الإنسان أن يتفقد صحته باستمرار، من حيث سلامة أجهزته وقيامها بعملها على خير وجه، فإن كان ثمة تقصير لجأ إلى التداوي.

مما سبق يتضح أن اهتمام الصوفية بالحياة الروحية لم يقف حائلا دون الاهتمام بالجسم، سواء أكان ذلك الاهتمام ناشئًا من كون الجسد هو الوعاء الحامل للروح، والاعتناء به هو اعتناء بها أيضًا، أم كان هذا الاهتمام ناشئًا من أن للجسد حقوقًا، أوجبها الله- عز وجل- على الإنسان، وعلى أي من الاعتبارين فإن الجسد قد لقي لونًا من الاهتمام في فلسفة التصوف الإسلامي التي تولي عناية خاصة بالحياة الروحية والخلقية" (32).

2- الإنسان مخلوق مكرم مميز:

في فكر ومبادئ الطريقة المحمدية الشاذلية يحتل الإنسان مكانة كبرى، وأعظم ما في هذا الإنسان روحه، لأنها مناط التعلق بالله تعالى، "فبعد أن أخفقت جميع المحاولات في الإصلاح على الأسلوب المادي القشري الجاف، سواء ما كان منه مع الفرد أو الجماعة، أو مع الأمة أو غيرها، وجب ان نعلن بالحقيقة الكبرى، وأن نهتف بالكنز المذخور، وأن ندعو إلى الروحانية، إلى الربانية، إلى العلاقة بالله وبما وراء المادة، وإلى الصلة بالغيب المحجب، بالنبع الأقدس، والأصل الأول، ليست الإنسانية هذه المنظورات التالفة التافهة الفانية، إنما الإنسانية شيء آخر، هو السر الإلهي الذي سخر الله الأكوان له والعوالم، إنما الإنسانية الأرواح وآثارها الطبيعية، من الخير، والجمال، والرحمة، والنور، والحب، والسلام، والتقدم، والإنتاج، والحكمة، والتسامي، والايمان، والعلم، والمعرفة، هذه هي الإنسانية في صورها الطبيعية الصحيحة" (33).

وبهذا السمو في الروح وتهذيب أخلاقها استحق هذا الإنسان أن يكون خليفة الله تعالى في الأرض، "وقد خص الله الإنسان بشرف الخلافة عنه تعالى في الأرض: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**} (34)، وبذلك فضله الله على ملائكته، وزاده تفضيلًا، فأسجدهم له، وجعل له الأستاذية عليهم، فعلمه الأسماء كلها، وأمره فأنبأهم بها، ثم جعله أهلا لحمل الأمانة، وأعطاه مفاتيح قوى

الكون واستغلال أسراره، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وكان حسب الإنسان شرفًا أن أقام الله نفسه محاميًا عند أمام ملائكته إذ {**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**} (35).

ثم تفضل جل ثناؤه، فمنح بني الإنسان شرفًا آخر، بأن اصطفى منهم خاصة، هم أنبياؤه، ثم اصطفى من الأنبياء خيرته من خلقه، ومهبط سره، سيدنا محمدًا- صلى الله عليه وسلم، فرفع به رتبة الشرف الكلي لبني الإنسان، وكانت خصوصية هذا الشرف العام، موجهة إلى المسلمين حتى كانوا: {**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**} (36)، وكان لهم شرف الشهادة على الأمم جميعًا" (37).

3- الإنسان مخلوق يحتاج إلى علاج دائم:

يحتاج الإنسان في طبيعته إلى علاج مما قد يصيبه من الأمراض البدنية، والروحية، وخير علاج له كما ترى هذه الطريقة هو ربطه بالله تعالى، والتصوف هو خير نهج يقوم بهذا الأمر، "ودعوة العشيرة المحمدية، دعوة إلى ذلك كله، وإلى ما يتصل به، ويتفرع منه، أو يتخلف عنه، دعوة إلى نور المعرفة، وإلى الحياة في جانب الله، والاستقرار في حرمه، والتمتع بالأنس بحضرته، والترقي في مدارج خدمته، دعوة إلى التربية الروحانية، الهادئة، الهادية، المستقرة، فذلك هو العلاج الأساسي الأول لهذا الجدب الروحي، والقلق البشري، والاضطراب الشامل.

أما العلاج السطحي بمجرد الأمر والنهي، والموروث من التهديد، والوعيد، والوعظ، والإرشاد الآلي الميت، أو اللجوء إلى التشريع الوضعي الممسوخ، فذلك جميعًا تخييل وضياع، وإمعان في الخسران والتلف، وإنما يجب أن نبدأ من الأصول والأعماق، وأن نرد الناس إلى الحقائق الصحيحة، فإذا انتهبوا من غمرتهم وسكرتهم، استيقظ فيهم وازع المعرفة والتسامي، وانبعث فيهم قوى الترفع والإنتاج الصالح، والاستقامة والسكينة؛ فإنك لا تداوي المادية بمادية أخرى، وإنما دواؤها الأكيد هو الروحانية، التي من أجلها أرسلت الرسل، ونهضت دعوات المصلحين في المشارق والمغارب، إذن هذه دعوة مدروسة، ذات قواعد مقررة، وعقيدة محددة، تتمتع بكيان ذاتي، وشخصية مستقلة، وهدف معين، ووسيلة مشرقة، فلا غنى عنها قط، وإن تعددت الدعوات والجماعات؛ إذ هي المعهد الأول الذي يتخرج فيه الإنسان الكامل؛ ليواجه حياته، بأقسامها وأنواعها وألوانها، على مقتضى استعداده، بعد صبه في القالب الرباني، فلا يكون منه إلا الخير

المطلق؛ أفكارًا أو أقوالًا، أو أعمالًا، أو أحوالًا، أو آثارًا، ومن هنا يبدأ المطاف، وإلا كان الضلال المجرب المجرد، ولهذه الحقائق الصحيحة، فإذا انتبهوا من غمرتكم وسكرتهم، استيقظ فيهم وازع المعرفة والتسامي، وانبعث فيهم قوى الترفع والإنتاج الصالح، والاستقامة والسكينة؛ فإنك لا تداوي المادية بمادية أخرى، وإنما دواؤها الأكيد هو الروحانية، التي من أجلها أرسلت الرسل، ونهضت دعوات المصلحين في المشارق والمغارب، إذن هذه دعوة مدروسة، ذات قواعد مقررة، وعقيدة محددة، تتمتع بكيان ذاتي، وشخصية مستقلة، وهدف معين، ووسيلة مشرقة، فلا غني عنها قط، وإن تعددت الدعوات والجماعات؛ إذ هي المعهد الأول الذي يتخرج فيه الإنسان الكامل؛ ليواجه حياته، بأقسامها وأنواعها وألوانها، على مقتضى استعداده، بعد صبه في القالب الرباني، فلا يكون منه إلا الخير المطلق؛ أفكارًا أو أقوالًا، أو أعمالًا، أو أحوالًا، أو آثارًا، ومن هنا يبدأ المطاف، وإلا كان الضلال المجرب المجرد، ولهذه الدعوة من هذا الوجه خطورة معنوية، وأهمية يدركها ألو البصائر والألباب، وأهل الصفاء والإشراق، ولها مقتضيات أساسية، من التربية، والتوجيه، والمجاهدة، حتى يمكن تذوق لذة الإقبال على الله، والاستقرار في رحابه، ومعاملة البشر في نوره وظل جنابه" (38).

4- وظيفة الإنسان الأساسية هي العبادة لله تعالى:

وظيفة الإنسان عند هذه الطريقة هي العبادة لله تعالى، يقوم بها الإنسان بعد أن يربط روحه بالله تعالى، "فإذا تحقق المسلم بهذا الأصل إجمالًا، سافر إلى باطنه، وأدرك سر هويته، فعرف ماهية وظيفته فيما بينه وبين الناس، إيمانًا وعملًا، واستخلافًا في الأرض، واستعمارًا فيها، وتسخيرًا للقوى الكونية المذللة، وتجديدًا وابتكارًا، ودراسًا وعلمًا، وأمرًا بمعروف، ونهيا عن منكر، وإصلاحًا وتساميًا، وعرف بالأولى وظيفته فيما بينه وبين ربه، عبودية وإنابة، وتطهرًا وتبتلا، وتوددا إلى العالم الأعلى، فهذه هي الوظيفة الأساسية له، وهي التي تنتج بطبعها آثار الإنسانية الكاملة، فيما بين العبد والعبد: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} (39).

وهذه العبادة ليست منا من الإنسان على الله تعالى، بل هي شكر لله تعالى، على أن استخلفه في الأرض، ثم على النعم الكثيرة التي منحها الله له، يقول الشيخ: "والعبادة شكر طبيعي على فضل رتبة الخلافة الإلهية، وما يتعلق بها من نعم، وللخلافة اقتضاء ذاتي من آثار القلوب والجوارح، أي من الأخلاق

والأعمال بمقدار ما أصاب الخليفة من مدد الخلافة، فإذا ما تحقق بما يجوز له الاتصاف به، وبما رضي له مخلفه من صفاته التي جاءت في كتابه، كان ربانيًا، قد كرع من نبع قوله تعالى: **{كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}** (40).

"وبالتالي صحت له وراثة المصطفى- صلى الله عليه وسلم، كما صح عن عائشة (كان خلق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- القرآن) (41)، والقرآن كتاب الربانية الأعظم، ومن هنا صحت لرسول الله- بأخلاق القرآن- الخلافة العظمى، اختصاصًا من دون البشر" (42).

وهذه العبادة تصل بالإنسان إلى أن يصبح إنسانًا ربانيًا، يقول الشيخ: "ومثل هذا الإنسان يتحرى بربانيته معالي الأمور، ويعف عن سفاسفها، فلا يأوي إلى منقصة، ولا يقع على تافه، ولا يلتفت إلى صغيرة، ولا يتبرم بنازلة، ولا يتعلق بشبهة، ولا يقبل الدنية في دينه، ولا يقف في آخر الصف من دنياه، ولا يقنع من المعالي بما أدرك، ولا يتلقط فتات موائد غيره، م علم، أو فن، أو تجديد، أو ابتكار، ولا يجزي حسنة سيئة، ولا يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين.

وهكذا يعود الرباني إمامًا بفطرته، يهيمن على قوى الكون، فتنفعل له، فيستكنه غيوبها وأسرارها، ويطوعها لخير الإنسانية في مستواها الرفيع، إظهارًا لتجليات الأسرار في الأسماء والصفات، فالرباني بقلبه وباطنه مع الله، مخبت منيب، وبظاهره في خدمة الحياة منتج مجدد، إيجابي في حدود طاقته، وفي مدى وظيفته وحرفته، عقلية أو عملية كانت، على خصوصها وعمومها، وعلى أوسع إطلاقاتها، يؤدي كل ذلك خدمة للإنسانية في الظاهر، وقيامًا بحق العبودية في الباطن، والتماسًا لنعمة التمتع بالزلفى إلى الله، والتودد إلى حضرته المقدسة، فتنقلب دنيوياته ألوانًا من العبادات والرياضيات الروحية العميقة، بما فلسفها به من المعاني الإلهية، وما لونها به من النوايا الربانية.

وناهيك بأمة يكون هذا شأن موظفها، وعاملها، وتاجرها، وطبيبها، ومهندسها، وقاضيها، وحاكمها، ومحكومها، ونسائها، ورجالها؟ ولك أن تسمي هذا الإنسان بعد هذا: إنسانًا ربانيًا، أو قرآنيًا، أو محمديًا، أو صوفيًا، أو ما شئت، فذلك هو الإنسان الذي نؤمن به، ونبحث عنه، ونحاول إيجاده، ولا يعنينا كثيرًا أن تسميه بما تشاء، فهذه قشور لا تغير الحقيقة" (43).

إن هذه الربانية هي التي يحققها التصوف الراشد، الذي تدعو إليه هذه الطريقة، هذه الربانية تضمن علاجًا للطبيعة الإنسانية من مفاسد كثيرة، وأمراض عديدة، ولذلك يقول الشيخ: "ومن هنا تعرف كيف تكون الربانية علاجًا للأفراد، كما تكون علاجًا للطوائف والأمم، علاجًا شاملًا لمظاهرها وحقائقها، حتى مشاكل أخلاقها، وعقد نفسياتها، وأمراضها المختلفة {**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} (44)، وفوق أنها علاج حيوي عام، وعلاج أخلاقي نفسي خاص، فهي طريق الاستعداد، والذوق، والوجد، والكشف، {**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**} (45)، وهي كذلك طريق التوفيق والتسديد، {**يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**} (46)، فليست الربانية- فقط- صومعة ومسبحة، ولكنها الحياة كلها، دين ودنيا، يتلقى كل فرد منها ما يناسبه بحسبه، عبادة وحكمًا، تشريعًا وطيًا، علمًا وفنًا، قولًا وفعلًا، تقدمًا ونهوضًا، وعزة ومجدًا، فإن من خرب باطنه؛ كان حربًا على نفسه، ودينه، وأهله، ووطنه، في جهاده الأصغر والأكبر معًا" (47).

إن الإنسان لدى هذه الطريقة هو مناط التكليف الذي شرفه الله تعالى به، وهو عبادة الله تعالى، ولذلك لابد من إعداده؛ ليكون أهلا لهذا التكليف، وقد أعده الله لذلك حين منحه العقل، وحين دعاه إلى استخدام عقله، وحين أرسل إليه رسلا مبشرين، ومنذرين، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولا يكتمل دور الإنسان في هذه الحياة إلا بالتربية السليمة التي تجعله قادرًا على القيام بدوره في الحياة، ولا تتحقق هذه التربية السليمة- لدى هذه الطريقة- إلا عن طريق التصوف الراشد الذي تؤمن به، وتنهج نهجه، وتدعو إليه.

رابعاً: المعرفة:

تتبع المعرفة في الإطار الإسلامي من قول الله عز وجل: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**} (48)، فالقراءة هي باب المعرفة الأول لبني البشر، وهي مفتاح العلم والمعرفة، والمعرفة أساس في دين الإسلام، لأن المسلم مطالب بأن يكون على علم ومعرفة بحقيقة وجود الله تعالى، وحقيقة الكون، كما يجب أن يكون على معرفة بحقائق دينه، وأصوله، وأمور فقهه، والمعرفة التي يدعو إليها الإسلام هي المعرفة الشاملة الجامعة، التي تتناول علوم الدين والدنيا، وليست مقصورة على علوم الدين فقط.

وما ازدهرت الحضارة الإسلامية عبر أزمنتها كلها إلا حين اهتمت بمجال المعرفة: معرفة علوم الدين، ومعرفة علوم الدنيا.

المعرفة في المفهوم الصوفي:

والمعرفة في المفهوم الصوفي هي "التجربة التي يعيشها العارف الصوفي مع الله تعالى خارج حدود الزمان والمكان، وما يرتبط بهما من تصورات عقلية، لا تخرج عن نطاق مدلولات الحس، بمعنى أن المعرفة لديهم لا صلة لها بمدلول لفظ (معرفة) في معاجم اللغة، كما أنها ليست معرفة مناظرة للمعرفة العقلية بشكل عام، ولكن أطلق الصوفية على تجربتهم لفظ (معرفة)؛ لقصور اللغة عن الوفاء بكل ما هنالك، وكان لابد من الاعتراف بوجود مسافة بين عجز اللغة- أي لغة بشرية- وبين عظم التجربة وسموها.

أي أن لفظ (المعرفة) الذي تداوله الصوفية في مؤلفاتهم، وإن اشترك في المبنى مع لفظ (المعرفة) الذي تناولته الفلسفات المختلفة؛ إلا أنه يختلف مع ذلك اللفظ في المعنى، حيث يشير عند الصوفية إلى تجربة روحية بين الصوفي وربه عز وجل، تتسم تلك التجربة بالخصوصية، ولا تخضع للقياسات الحسية، والمعرفة لدى الصوفية ثمرة الذوق" (49).

أهمية المعرفة عند الطريقة المحمدية الشاذلية:

اهتمت الطريقة المحمدية الشاذلية بهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا، وجعلته من أصولها الفلسفية التي تنطلق منها دعوتها الصوفية، بل تجعل هذه الطريقة فقه المعرفة أساسًا لحركة التصوف لديها، بشرط أن تستغل هذه المعرفة في إصلاح حال الفرد والمجتمع، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "التصوف هو سبيل الإصلاح: إن التصوف- وهو كما نسميه (علم فقه المعرفة)، وهو ما جاء به الوحي من علم، وإيمان، وعمل، وخلق، وجهاد، واستعلاء- ضرورة حتمية، لتحقيق النجاح العسكري، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والعمراني، وغيره، فهدف التصوف إصلاح الفرد، وبإصلاح الفرد يصلح المجتمع، لأن الفرد الصالح لا يصدر عنه إلا العمل الصالح، والأثر الصالح، ثم إن الصلاح دعوى، والفساد عدوى، ومتى ما كثر الصالحون قل في الطرف الآخر الفاسدون، وهكذا يبدو الأثر الطبعي التدريجي للتصوف الصحيح، وأنه ضرورة أكيدة" (50).

ولا جدال في أن الحياة تمتلئ بالكثير من الأسرار والخبايا، التي يطالب الإنسان بالتفكير في شأنها، ومحاولة اكتشاف أسرارها، وفي أثناء عملية التفكير ومحاولة الاكتشاف قد يخطئ، وقد يصيب، وهو في الحالتين مجتهد مأجور، على ما قدمه في هذا الجانب.

ومن هنا نخلص إلى أن التصوف: هو العلم الذي يسعى إلى تحقيق ثمرة التوحيد الحق، ولا يتم هذا التوحيد إلا بالمعرفة، والتصوف يسعى إلى إيجاد المسلم الذي يسعى إلا هذه المعرفة، وهو المسلم العارف بحقوق الله تعالى عليه، وحقوق نفسه عليه، وحقوق الآخرين عليه، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "مما أسلفنا قبلًا عرفت أن التصوف، هو ثمرة التوحيد الحق، أي أنه هو العبادة والأدب، وقد سميناها الربانية، وإذن فهو المعنى الروحي الرفيع، الذي لازم جميع أديان السماء، والذي قامت عليه أركان التعاليم الإنسانية، التي نزلت على كل نبي سابق، وإذن فهو قانون الاستخلاف الإلهي، واستعمار الأرض، ومعنى هذا أن التصوف الحق هو علم الحياة، والحياة ذات وجوه وألوان، تتعدد، وتتجدد، وتتداخل، وتتفرع، فلكل منها قالب صوفي أو رباني يناسبه، ويلهمه السداد، وينزله منزلة محاب الله ومراضيه، مهما كان موغلًا في مسارب المطالب الدنيوية، يستوي في ذلك العلم، والفن، والأدب، والاجتماع، والاقتصاد، والحرب، والسياسة وغيرها، أليس التصوف هو علم الحياة؟ يرسى الأصول في الأرض، ويوجه الفروع إلى السماء قبل أن يعرفها علماء الفرنجة بقرون عدة، فمنه استقوا، وعنه أخذوا، وكانوا عيالًا عليه، وسيظلون، ولا مرية في أن النفسيات، والأخلاقيات، والروحيات مقصودة لذاتها في الأديان، بوصفها المقومات الأولى للمجتمع، وعليها بنيت تعاليم العبادة، وأساليب المعاملة، فمثلًا نجد علم الفقه بشطريه، من عبادات ومعاملات، وعلم التوحيد، بما فيه من عقليات ونقليات، وكذلك غيرهما من علوم الديانة وعلوم الدنيا، إنما هو وسيلة إلى الارتقاء المعنوي بالإنسانية، أفرادًا، وطوائف، وأممًا، أي أنه وسيلة مبدئية إلى التصوف، أو هو تمهيد أولى له؛ لأن الفقه والتوحيد- مثلًا- يعالج الجانب الظاهري من الحياة، أما التصوف فهو يعالج الجانب الباطني، وهو الحقيقة الأساسية في الإنسانية، ثم هو الجانب الخالد بعد الفناء الجسمي المحتوم في الآخرة.

ومن هنا تظهر ضرورة وجود هذا العلم، وهذه المعرفة الصوفية؛ لاستدراك ما فاتته العلوم الأخرى، من الجوانب الباطنية في الإنسان؛ أي الأخلاقيات والنفسيات والروحيات؛ إذ لولاه لبقي هذا الجانب

دون تدوين ولا تحديد، ولا علاج، ولا تعريف، ولا ممارسة، وهو الملتقي الذي تندمج عنده اللاهوتيات بالناسوتيات، ثم بالاجتماعيات، فيثمر ذلك خير الحياة، وخير الممات. (51).

أنواع المعرفة عند الطريقة المحمدية الشاذلية:

تتعد صور المعرفة عند الطريقة المحمدية الشاذلية، ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1- المعرفة الكشفية (الإشراقية):

إن المعرفة لدى هذه الطريقة هي- في المقام الأول- معرفة كشفية، تسعى إلى محاولة استكشاف ظواهر الكون، واستنباط ما فيه من أسرار عظيمة، تدل على قدرة الله تعالى، إثباتًا لعظمته، وتأكيدًا لألوهيته، فاشه تعالى هو الهدف الأسمى العبادة الصوفية، ثم هي بعد ذللك معرفة عبادية، تسعى إلى تعريف الإنسان الصوفي بفقه العبادة، التي يجب أن يقوم بها الله تعالى، ثم تعريفه بأسرار هذه العبادة، فالتصوف لا ينظر إلى العبادة على شكلها الأدائي فقط، بل يهتم- وهذا هو الأهم- ببيان أسرارها، واستخلاص حقيقتها وهدفها الأسمى.

فالصلاة مثلًا، قد نظم الفقه هيكلها، وصورة ركوعها، وسجودها، وقيامها، وأذكارها، أما التصوف فقد نظر إلى حقيقتها، وغايتها، فبحث عن الخشوع، والتبتل فيها، وتنزيهها عن الرياء والكسل، وكيفية استغراق المصلي في مشاهد القيامة، بين يجي ربه والزلفى إليه، وتدبر الأركان والمعاني، والتخلص من العلائق والعوائق، وهذه وحدها هي أسباب القبول أو الرد، أي روح الصلاة وسرها، وهي طريق النهي عن الفحشاء والمنكر، والتزود بقوة اليقين، واستكمال الرجولة، والإدلاف على حظيرة القدس، وقد اصطلح العارفون على أن يسموا قواعد الفقه وهيكل العبادة باسم (الشريعة)، وأن يسموا روح العبادة ومعناها؛ أي التصوف- فيها باسم (الحقيقة)، ومن المثل السابق يتبين لك تلازم الشريعة والحقيقة في الأمر الكامل، تلازم الماء في العود، والروح في البدن، وهو ما نسميه الطريقة، وذلك هو قولهم: "شريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة.

ويجري هذا المثل أيضًا في علم (التوحيد والكلام)، فهو يبحث عن القضايا المنطقية، والأدلة الكونية على الكمال والقدسية، والتنزيه الإلهي، ووظيفة التصوف فيه هي البحث عن الحقوق القلبية

لمستوجب التقديس والسبحانية- عز وجل- وكيف يستمتع الموحد بإشراق شموس الأسماء والصفات، ويتضلع من أنوار الحقيقة فيما وراء المادة.

2- **المعرفة التطبيقية:**

يراد بها التطبيق العملي للمعرفة، "ففي علوم الدنيا نجد أن التصوف هو صمام الأمان والموجه الموفق لتيار الحياة، فهو يدفع تحري المنافع واجتناب المضار، والتزام الإيثار بإيقاظ المعنى الإنساني النائم في باطن الإنسان، فالمخترع الصوفي، لا يقدم للناس إلا ما استيقن أن استخدامه إنما يعود بالأجر، وعلى الناس بالخير في أقل الحالات، وكذلك المفكر، أو الكاتب، أو المهندس، أو الطبيب، أو الموظف، أو العامل، أو الفلاح، أو التاجر، أو غير هؤلاء، لا يصدر الصوفي منهم من الشر أبدًا في أي وضع من أوضاعه، ما دام معتصيمًا بتصوفه، يمنعه الدنية، ويصوبه عن السفاسف، ويربطه بمعالى الأمور، أليس قد قلنا: إن التصوف الحق هو (علم الحياة)؟ فمنه إذن صمام الأمان، ومنه تيار التوجه إلى المعالي والاعتصام الفطري بمبدأ الترفع والتسامي، والفيض الطبيعي بالقوة والخير والنور والجمال والسيادة، والسعادة المطلقة، ومن هنا لا يستطيع مذهب ما من المذاهب المدمرة للإلهيات، أو المخربة للإنسانيات أن يتسلط على الرجل الصوفي، بحال من الأحوال" (52)، لأنه محمي بحماية الله تعالى، مرعي برعاية الله تعالى.

إن المعرفة عند هذه الطريقة تهتم- أيضًا- بمعرفة الله تعالى، ومعرفة طريقه الذي يسلكه العبد المتصوف، الساعي إلى رضاه تعالى.

خامساً: القيم:

يكاد موضوع (القيم التربوية) يكون من أهم المسائل التربوية الأساسية في أي مجتمع على الإطلاق، لأن القيم تقف وراء كل ما تقوم به التربية من أعمال وأدوار في أي مجتمع، فكل ما يتخذ في عملية التربية؛ إنما هو ترجمة حية لهذه القيم التربوية، كما أن القيم هي التي توجه التربية إلى تحقيق أهدافها الموضوعة لها.

مفهوم القيم عامة:

وقد اختلف المفكرون في نظرتهم للقيم– عامة– اختلافات كبيرة، مما أدى إلى تعدد تعاريف القيم التربوية، حيث ينظر إليها بعض الباحثين على أنها مبادئ مجتمعية، تساعد الإنسان في الحكم على الأشياء، تقول فوزية دياب (53): "يمكننا أن ننظر للقيمة على أنها الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديًا بمجموعة المبادئ، والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه، والمرغوب عنه من السلوك".

مفهوم القيم التربوية الإسلامية:

أما مفهوم القيم التربوية الإسلامية فيعرفها على خليل مصطفى بأنها "مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية، عن الكون، والحياة، والإنسان، والإله، كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع، من خلال التفاعل مع المواقف، والخبرات الحياتية المختلفة؛ بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته، تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة، وغير مباشرة" (54).

ويستطيع الباحث أن يعرف القيم الإسلامية على النحو التالي: (القيم الإسلامية، هي مجموعة متكاملة، متناسقة، من المعتقدات التي يؤمن بها المسلم إيمانًا يقينيًا، وتؤثر تأثيرًا فعالًا على سلوكه، وتجعل هذا السلوك نابعًا من تعاليم الدين، موافقًا لها، وتهدف إلى تحقيق إنسانية هذا الإنسان المسلم، وإلى تحقيق السعادة له، في الدنيا والفوز برضا الله تعالى في الآخرة، وهي تشمل علاقة هذا المسلم بربه، وبنفسه، وبالمجتمع الذي يعيش فيه).

القيم عند الطريقة المحمدية الشاذلية:

تمثل القيم الإسلامية عند الطريقة المحمدية الشاذلية جانبًا مهمًا في الأصول الفلسفية لفكر هذه الطريقة، حيث أكد الشيخ محمد زكي إبراهيم أن الميثاق الإلهي قد اهتم بشئون "القيم الروحية والأصول الأخلاقية، باعتبارها مادة الحقيقة الإنسانية، وهما البرزخ القائم بين البشرية والحيوانية، وهما معدن أسرار الرحمن في الإنسان، فلن تقوم له قائمة بغيرهما، في كل ما يعتريه من متضادات الحياة ومتناقضاتها، سواء في العسر واليسر، أو المنشط أو المكره، فإن كل حركات الحي وسكناته في مجتمعه؛ مرتبطة كل الارتباط الظاهري والباطني بأصول الأخلاق ومعايير الروح، ورهما توزن رجولته وثروته، ويختبر مدى استعداده لأداء

رسالته على الأرض، فالإنسان بغير القيم شيطان أقطع، أو هو مسخ ضال، لا هو بالإنسان، ولا هو بالحيوان، ولا هو بالشيطان، وهو في أعلى مراتبه كائن حي" (55).

وجوب الالتزام بالقيم عند الطريقة المحمدية الشاذلية:

يصبح الالتزام بالقيم الروحية الصوفية أمرًا واجبًا على المجتمع، خاصة، حين تكثر الفتن، وتتنوع الاضطرابات في المجتمع، وتشتد الأزمات بهذا المجتمع، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "لقد جربنا العودة إلى الله، والصلح معه، والاعتصام بالقيم الروحية، والأصول الأخلاقية، في الخمسة الأيام الرهيبة الحزينة (56)، وما بعدها، فأكثرنا من ذكر الله، في إذاعاتنا، وتضرعنا إليه، وابتهلنا في خلوتنا، وجلواتنا، وتجمعاتنا، وناداه الكبار والصغار، وأقبلوا عليه في كل مكان، وبكل لسان، وفي أوقات الشدة والغارات، وعند التحام الصفوف، وأهوال الزخرف، ذكرناه فذكرنا، وتركنا الانمياع، فأقبل علينا الجد، والنبل، والاستبسال، والفدائية، ثم إذا العرب قلب واحد، ورجل واحد، وقد نسي ما مضى كله، ولم يبق إلا الحاضر وما يقتضيه حله، وإذا دول لها وزنها، وقدرها، وخطرها، تتبنى مشكلتنا، وتؤيدينا، وتأخذ بيدنا، وإذا مزيد من الإيمان بالمستقبل يغمرنا، ويجبرنا، وفيض من الثقة، والمدد الروحاني، يهيئ لنا السبيل إلى الأمل، ويدفعنا إلى الأمام، في عزم الآباء والأجداد، واستماتة الفدائيين الآساد" (57).

وتجعل هذه الطريقة انتشار القيم مسؤولية الجميع، وهدفًا يجب أن يعمم في جميع أنحاء المجتمع، وفي جميع نواحيه الاجتماعية، يقول الشيخ: "إلى الله، نرمم من البناء ما هدمناه؛ في التعليم، في التقويم، في المعاهد، في الشوارع، في البيوت، في أماكن التجمع، في دواوين العمل، في المصانع، في المتاجر، في وسائل الإعلام كلها: مقروءة، ومسموعة، ومنظورة، في ميادين خدمة الشباب على أنواعها، في ميادين التكتلات العمالية على مستوياتها، في مجالات المرأة، والمرأة وحدها عقدة العقد، ومشكلة المشاكل، ولتكن هذه هي أول وظائف مجتمعنا، بكل تنظيماته ومؤسساته وهيئاته" (58).

ويؤكد الشيخ هذه الدعوة ويعتبرها من صميمي الدين، فيقول: "إلى القيم الروحية، إلى الأخلاقيات، إلى الدين، فليست المسألة مسألة عدد، وعدد فقط، لإنما المسألة إيمان، وخلق، ويقين، مسألة نظر من الله، وتأييد من السماء، قال الله تعالى: {**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**}،

(59)، ليس إلا، إننا ينبغي علينا أن نعد لمعركتنا ما هو أعمق وأفعل: سلاح الخلق، والإيمان، والصلح مع الله" (60).

وقد اهتمت هذه الطريقة بنشر القيم الإسلامية الصوفية العظيمة، بين أتباعها، والسائرين على نهجها، سواء من خلال مطبوعاتها، أو من خلال خطب الجمعة التي تلقى في المساجد التابعة لها، أو من خلال الدروس والمحاضرات التي تلقى هنا أو هناك، أو من خلال تفعيل هذه القيم تفعيلًا سلوكيًا ظاهرًا بين المريدين والتابعين، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "من أمهات القيم المحمدية: البشاشة والطلاقة، فإن كثيرًا من الناس يزعمون أن التدين، واتباع السنة؛ لا يتم إلا بالجهامة، والتقطيب، والعبوس المستمر، فصوروا الرسول- صلى الله عليه وسلم- في صورة المتأزم، المعقد، الغضوب، القطوب، الذي لا يرتبط بسماحة، ولا رفق، ولا بشاشة، وانعكست هذه الصورة المستقبحة الكالحة على الإسلام نفسه، وليس كذلك كان النبي- صلى الله عليه وآله وسلم، ولا الإسلام، وهناك أكبر الدلالات على سماحة الرسول، وبشاشته، ولينه، ورفقه، ومروءته، على عكس ما نراه اليوم من أكثرية من يحترفون الانتماء إليه، ويحتكرون دعوى اتباعه، وإحياء سنته، فليس منهم إلا مستكبر، معقد، متأزم، يبعث الاشمئزاز، والضيق، والحرج، وثقل الظل، والجمود، والجحود" (61).

سادساً: الأخلاق:

يعد الالتزام بأخلاق الإسلامية أساسًا للفكر الإسلامي، ولفكر الطرق الصوفية خاصة، لذلك يرى الباحثون: أن "الدين الإسلامي يربط بين جانب العقدية وبين الأخلاق التي ارتضاها ربطًا وثيقًا؛ فإن مقتضى الإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلق محمود، وإن الأخلاق السيئة دليل على عدم وجود الإيمان، أو دليل على ضعفه في نفس صاحبه، وعليه يمكننا أن نعرف مدى إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق، ونعرف مدى ضعف إيمانه بقدر ما يتصف به من ذميم الأخلاق". (62)، ويمكن إجمال فكر هذه الطريقة حول الأخلاق على النحو التالي:

منزلة الأخلاق عند الطريقة المحمدية:

ترى الطريقة المحمدية أن الأخلاق هي أساس التصوف، فالتصوف عند هذه الطريقة "هو تطبيق الأخلاق والآداب، وتربية النفوس وتسامي الأرواح، فهو الحقيقة الأولى والأخيرة بعد التوحيد في كل دين، فإنما جاءت التعاليم الدينية من أجل علاج البواطن وتنقيتها، وما من موضع عبادة أو معاملة في الدين؛ إلا وفيه نظرة أساسية إلى علاقة آثارها بالجانب الروحي الخلقي، الذي هو المعنى الأصلي الخالد في الإنسانية كلها، فليس من العيب أبدًا أن يكون للتصوف تاريخ سابق في كل دين، فهذا شرفه وكرامته، فقد جاءت كل الأديان السابقة بالتصوف، أو من أجل التصوف، أو لنشر فكرة التصوف" (63).

وقد اهتمت الطريقة المحمدية بالأخلاق الإسلامية، بخاصة الأخلاق الصوفية، وجعلتها أساسًا فلسفيًا من أسس طريقتها المحمدية، ينبثق منه فكرها الصوفي، وقد جعل الشيخ محمد زكي إبراهيم الأخلاق لب التصوف، وأساسه الأول، الذي تبنى عليه فكرة التصوف، يقول الشيخ: "التصوف خلق، من زاد عليك في الخلق؛ زاد عليك في التصوف، وبالتالي زاد عليك في الإنسانية، فنفع وانتفع، وأدى رسالة البشرية بروح سماوية عالية، وهكذا تشرق لك بعض معاني قول الله تعالى: {**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**} (64)، فما كان من عظمة في شئون الدنيا والدين؛ فإنما هي أثر للخلق العظيم" (65).

وجوب الالتزام بأخلاق الإسلام:

يرى الشيخ محمد زكي إبراهيم أن الأخلاق الفاضلة هي أساس كل خير في الدنيا؛ وتكون- أيضًا- سبيلًا على سعادة الآخرة، بل إن الشيخ يجعل التمسك بالأخلاق أهم عمل يجب أن يقوم به الصوفية؛ فالصوفية الصادقون" هم الذين يهتمون بالقلوب والتربية والأخلاق والاعتصام بمقام التسامي والربانية، فالتصوف مذهب إسلامي أصيل من مذاهب أهل السنة التي لابد منها للحياة الصحيحة، وإذا كان الصوفية يدعون إلى الأخلاق وبناء داخل الإنسان بعد أن تهدم وتحطم؛ فهم إنما يعملون غاية ما يجب على الإنسان لاستعمار الأرض والاستخلاف عليها، وتنقية الحضارة من أوزارها وأوضارها، واستقرار الأمة بأفرادها على ما لو لم يكن لهلكت" (66).

ومن هنا جعل الشيخ الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة أساسًا لدعوته وفكره؛ يجب الالتزام به، على أن يكون هذا الالتزام نابعًا من داخل الإنسان، فنراه يدعو في معظم كتبه إلى التزام المسلم الصوفي بكل الأخلاق الفاضلة التي يأمر بها الدين الإسلامي، يقول الشيخ: "التصوف دعوة الحب، الذي فقده الناس، فقدوا الإنسانية في الأجساد البشرية، والحب هو الخصيصة المميزة للسالك الصوفي، فهو يحب الله، وبالتالي يحب خلق الله، فهو يحبهم بحب ربهم، وهو بحكم حبه لهم يسعى في خيرهم وبرهم، وتصور- يا ولدي- مجتمعًا يحكمه: الحب، والسلام، والتسامح، والتيسير، واللين، والتعبد، والتعاطف، والشرف، والايثار، وتحري معالي الأمور؛ كيف يكون أفراده؟ وكيف تمضي حضارته؟ " (67).

كما يواجه الشيخ الفساد الأخلاقي الذي ثبته بعض وسائل الإعلام في مصر، داعيًا على مواجهة ذلك بكل قوة؛ حتى لا يتفسخ المجتمع، يقول الشيخ: "المتتبع للسينما في الوقت الحاضر يجدها قد ابتعدت عن أهدافها ومضمونها، فالسينما أداة تثقيف وترفيه، وفي الوقت نفسه يمكن أن تؤدي أدوارا سياسية وتاريخية مهمة، وأن تنفض الغبار عن موضوع تاريخي أو ثقافي هام وإبرازه بصورته الحقيقية حتى تعرفه الأجيال التي لم تعايشه، ولكن للأسف هبطت السينما بما تقدمه من أفلام ذات اتجاهات جنسية، وأفلام العنف والجريمة والمخدرات والبحث عن المال بكافة الطرق والوسائل، مع بعدها عما يتناسب مع تقاليدنا وتعاليم ديننا؛ سعيًا للربح الرخيص، فهل من دعوة صادقة لإنقاذ السينما من الهاوية التي تردت إليها والعودة بها إلى المضمون والهدف الجيد، فتاريخنا حافل بالأمجاد، ويمكن الاستعانة به" (68).

وفي موضع آخر كتب للشيخ: "مما يثير غضب الحليم في مصر الآن أن تطالعنا بعض الصحف بالصور الكاريكاتيرية التي تسخر من قرار وزير الثقافة الخاص بتحريم القبلات المبتذلة في إعلامنا، والعودة إلى تعاليم ديننا وقيمنا، والحفاظ على أصالة تقاليدنا، وكأن الوزير بدعوته هذه قد شق عصا الطاعة، وخرج على الإجماع، وارتد عن الدين" (69).

الالتزام بالمسئولية الخلقية يحقق الثواب:

الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، والبعد عن الرذائل يحقق الثواب الذي أعده الله تعالى للمؤمنين الصادقين، "فإن التحلي بالفضائل يأتي بعد التخلي عن الرذائل، ولا يمكن لأحد أن يتحلى بالفضائل بينما هو مقيم على الرذائل، إن التحلي بالفضائل من أهم ما يجب أن يحرص عليه كل إنسان مؤمن، ولكن بعد أن يتخلى عن الرذائل، فالتحلي بالفضائل يجع الإنسان يشعر بسعادة غامرة، ومتعة روحية، ولذة حسية ومعنوية، كما يستشعر المؤمن حلاوة الإيمان، كما أن التحلي بالفضائل والطاعات والأخلاق الفاضلة يصوغ مجتمعًا مثاليًا كريمًا؛ يكون فيه الناس متحابين كما أمر الله تعالى في قوله: {**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**} (70)، كما أن هذا الالتزام يجعل الناس معتصمين بحبل الله جميعًا، ومستجيبين لأمر الله تعالى: {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ...**} (71)، إن التحلي بالفضائل والأخلاق يشيع المحبة والوحدة والتعاون والألفة بين جميع البشر" (72).

على هذا النحو اعتبر الشيخ الأخلاق أساسًا لدعوته الصوفية، انطلق منه، وبنى عليه هذه الدعوة الصوفية، وكانت دعوته هذه منطلقة من مبادئ التصوف وأصوله، فالتصوف في أصوله هو الالتزام بأخلاق الإسلام، ولذلك أثمرت جهود الشيخ في مجال نشر التصوف الصحيح، ومواجهة الفساد الذي لحق بعض مظاهر التصوف، أثمرت هذه الجهود كل الخير.

خاتمة:

تناول هذا البحث الأسس والمنطلقات الفلسفية والفكرية للخطاب التربوي عند الطريقة المحمدية الشاذلية، وهذه الأسس والمنطلقات تمثل الإطار المرجعي والأيديولوجي الذي يتحرك هذا الخطاب من خلاله، فهي المواجهة له في تحديد القضايا التي تناولها هذا الخطاب، وفي تحديد فلسفته تجاه الإنسان المعاصر، وقد شملت هذه الحديث عن: الله عز وجل، ثم الحديث عن الكون، ثم الحديث عن الطبيعة

الإنسانية، ثم الحديث عن المعرفة، ثم ختمت بالحديث عن القيم والأخلاق، باعتبارهما موجهات للسلوك الإنساني، ولا جدال في أن هذه الأسس قد أسهمت بدور كبير في تكوين وبلورة فلسفة الخطاب التربوي عند الطريقة المحمدية الشاذلية.

قائمة المراجع والمصادر

(1) الإمام القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، د ت، ص7.

(2) محمد زكي إبراهيم، كلمة الرائد، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الجزء الأول، 1424هـ، ص648.

(3) سورة الذاريات، الآية 56.

(4) محمد زكي إبراهيم، كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 656، 657.

(5) المرجع نفسه، ص659، ص660.

(6) سورة القصص، الآية 88.

(7) سورة الرحمن، الآية 26.

(8) محمد زكي إبراهيم، كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص660.

(9) المرجع الأسبق، ص ص 680، 681.

(10) سورة الأنعام، الآية 59.

(11) سورة الأعراف، الآية 188.

(12) سورة الأحقاف، الآية 9.

(13) سورة هود، الآية 31.

(14) محمد زكي إبراهيم، كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 281، 282.

(15) سورة الجن، الآيتان: 26، 27.

(16) سورة البقرة، الآية 255.

(17) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 282، 283.

(18) الحديث رواه الإمام الترمذي في صحيحه، كتاب: النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، حديث رقم 1535، سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1432هـ- 2010م، ص296.

(19) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 524، 525.

(20) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: كيف يستحلف، حديث رقم: 2679، صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1432هـ- 2011م، المجلد الأول، ص525.

(21) سورة الحجر، الآية 72.

(22) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 526، 527.

(23) المرجع نفسه، ص569.

(24) سورة الشورى، الآية 11.

(25) سورة الإخلاص، الآية 4.

(26) محمد زكي إبراهيم: خلاصة العقائد الإسلامية، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية الطبعة الثالثة 1422هـ- 2001م، ص ص 13-19.

(27) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الجزء الرابع، 1424هـ، ص ص 426، 427.

(28) سورة آل عمران، الآية 53.

(29) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الجزء الثالث، 1426هـ، ص ص 151، 152.

(30) محمد زكي إبراهيم: يا ولدي، مختارات في معاني التصوف، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، 1433هـ- 2012م، ص170.

(31) محمود صديق سلطان: فلسفة التربية في التصوف الإسلامي، مدخل للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2012م، ص110.

(32) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(33) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص17.

(34) سورة البقرة، الآية 30.

(35) سورة البقرة، الآية 30.

(36) سورة آل عمران، الآية 110.

(37) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 67، 68.

(38) المرجع السابق، ص ص 18، 19.

(39) سورة الذاريات: الآية 56.

(40) سورة آل عمران، الآية 79.

(41) الحديث رواه الإمام البخاري، المجلد الأول، مرجع سابق، ص504.

(42) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص69.

(43) المرجع السابق، ص ص 69، 70.

(44) سورة الرعد، الآية 28.

(45) سورة التغابن، الآية 11.

(46) سورة يونس، الآية 9.

(47) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 71، 72.

(48) سورة العلق، الآية 1.

(49) محمود صديق سلطان: مرجع سابق، ص ص 134، 135.

(50) محمد زكي إبراهيم: يا ولدي، مرجع سابق، ص181.

(51) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ص 111، 112.

(52) المرجع الأسبق، ص ص 113، 114.

(53) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، القاهرة، 2003م، ص56.

(54) علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1408هـ- 1988م، ص34.

(55) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، المجلد الثالث، مرجع سابق، ص303.

(56) يقصد الشيخ أيام نكسة عام 1967م، بدءًا من يوم 1967/6/5م.

(57) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، المجلد الثالث، مرجع سابق، ص305.

(58) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(59) سورة آل عمران، الآية 126.

(60) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، المجلد الثالث، مرجع سابق، ص ص 305، 306.

(61) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، المجلد الخامس، مرجع سابق، ص ص 401، 402.

(62) خالد بن عبد الله القرشي: دراسات أخلاقية في ضوء القرآن والسنة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر، العدد الثالث، 1426هـ- 2005م، الجزء الثاني، ص553.

(63) محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ص 26، 27.

(64) سورة القلم، الآية 4.

(65) محمد زكي إبراهيم: يا ولدي، مرجع سابق، ص27.

(66) محمد زكي إبراهيم: يا ولدي، مرجع سابق، ص84.

(67) المرجع السابق، ص29.

(68) محمد زكي إبراهيم: السينما الآن خطر داهم، مجلة: المسلم، السنة 33، العددان: الرابع والخامس، الطريقة المحمدية الشاذلية، القاهرة، غرة ذي القعدة 1402هـ- 20 من أغسطس 1982، ص3.

(69) محمد زكي إبراهيم: القبلات المبتذلة والسينما، مجلة: المسلم: السنة 26، العدد الحادي عشر، الطريقة المحمدية الشاذلية، القاهرة، غرة جمادي الآخر 1396هـ- 31 من مايو 1976م، ص3.

(70) سورة المائدة، الآية 2.

(71) سورة آل عمران، الآية 103.

(72) أحمد عمر هاشم: التحلي بالفضائل يشيع المحبة والألفة، مجلة: المسلم، السنة 49، العدد السادس، الطريقة المحمدية الشاذلية، القاهرة، ذو الحجة 1425هـ- فبراير 2005م، ص

(73) ص 16، 17.